

ثقافة الحوار في الدراسات النقدية

د. عمر عتيق*

المستخلص

هدف البحث إلى رصد أبرز تجليات ثقافة الحوار بين النقاد، وتوزع على ثمانية محاور، الأول: النقد الموضوعي الذي يتسم بالشفافية والصراحة والوضوح، ويتجاوز المواقف الشخصية، والثاني: النقد المنهجي الذي يتوسل بمنهج نقدي في معاينة النصوص بعيداً عن الرؤية الذاتية، ويعمل قبوله أو رفضه للموقف النقدي. والثالث: الحوار الانفعالي أو (الخروج عن منظومة القيم في الحوار النقدي) الذي تحفل به الصحافة الأدبية. والرابع: إقحام الطائفية في الخطاب النقدي. والخامس: ثنائية المدح والذم في الحوار النقدي. والسادس: الحوار الأحادي (حوار من طرف واحد) حينما يمتنع ناقد عن الرد على ناقد. والسابع: تدمير المبدعين من النقاد. والثامن: تأثير السرقات في الدراسات النقدية على ثقافة الحوار. استخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي، وتوصل إلى العديد من النتائج.

* أستاذ اللغة العربية وآدابها المشارك، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، فرع جنين

المبحث الأول:

يهدف المبحث الأول إلى تعريف مصطلح "نقد النقد"، والتفريق بينه وبين النقد الأدبي، ورصد أشكال الممارسة النقدية انطلاقاً من أنّ "نقد النقد" هو الفضاء الذي تتجلى فيه ثقافة الحوار النقدي. وتنبه الدراسة إلى أنّ ظاهرة "نقد النقد" ليست إنجازاً معاصراً، فالبدائيات الأولى لها تعود إلى بدايات تشكل النقد نفسه. ويمكن القول إنّ نظرية المحاكاة عند أرسطو في كتابه "فن الشعر" هي رد على نظرية المثل عند إفلاطون في كتابه "الجمهورية".¹

وتذهب الدراسة إلى أنّ مصطلح "قراءة القراءة" يقترب في الدلالة من مصطلح "نقد النقد". ومن المعلوم أنّ قداماء العرب مارسوا قراءة القراءة التي جاءت رداً على قراءة سابقة، أو نقضاً لتحليل لم يلق القبول، ويظهر ذلك في التعليقات التي كانت تكتب حول النص المقروء. ومرد ذلك إلى الاختلاف في الذوق، والتنوع في الثقافة النفاوت في العلم، هذا التنوع الثقافي، الاختلاف الذوقي، هما اللذان كانا يغريان المتأخر بإعادة النظر في قراءة المتقدم.² ويمكن رد الرؤى النقدية والبلاغية التي سجلها يحيى العلو في كتابه (الطرز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق التنزيل) والتي خالف فيها آراء ابن الأثير والجرجاني شكلاً من قراءة القراءة أو نقد النقد في التراث النقدي والبلاغي. فقد تصدى يحيى العلو لتعريف الكناية عند ابن الأثير منطلقاً من مسارين؛ الأول: معاينة النسيج اللغوي لتعريف الكناية عند ابن الأثير؛ إذ يقف العلو على الصياغة اللغوية والمعنى الدلالي لألفاظ التعريف. والثاني: رصد التناقض بين ما رفضه، وما ارتضاه ابن الأثير في تعريف الكناية، ليخلص العلو إلى أنّ تعريف الكناية عند ابن الأثير باطل من حيث الصحة اللغوية والدقة الموضوعية، وأنّ تعريف الكناية عنده فاسد، وكذلك وقف العلو على تعريف الكناية عند الجرجاني، فذهب إلى أنّ تعريف الأخير للكناية يلتبس بتعريف الاستعارة. كما أنّ الفرق بين الكناية والتعريض عند يحيى العلو يختلف عن الفرق بينهما عند ابن الأثير في جانب، ويتفق في جانب آخر؛ فالاختلاف أنّ التعريض ليس معدوداً من باب المجاز. والاتفاق بينهما أنّ التعريض في الجمل المترادفة، والألفاظ المركبة، ولا يرد في الكلمة المفردة. وأثار تعريف ابن الأثير للتعريض خلافاً لدى بعض البلاغيين؛ فيرى يحيى العلو أنّ دلالة التعريض إنما هي من جهة القرينة، وليست من جهة المفهوم كما ورد عند ابن الأثير.

ونقد النقد هو نشاط معرفي ينصرف إلى مراجعة الأقوال النقدية، كاشفاً عن سلامة مبادئها النظرية وأدواتها التحليلية وإجراءاتها التفسيرية.³ وذهب بعض النقاد إلى تبسيط مفهوم نقد النقد وعدم ربطه بالإجراءات والأدوات النقدية، والاكتفاء بالقول: إنه (الكتب النقدية التي ألفها أصحابها مفنديين كتباً أخرى).⁴

ويرفض باقر جاسم محمد وحدة مفهوم مصطلح "نقد النقد" ومصطلح "الميتانقد"، وإجراء تبادل وظيفي بين المصطلحين، ويحرص على التفريق بينهما.⁵ وتتبنى الدراسة مصطلح "نقد النقد" وتعزف عن مصطلح "الميتانقد"؛ لأنّ المصطلح الأخير قد يسبب لبساً في دلالاته، وبخاصة أنّ الجزء الأول منه (ميتا) يحمل دلالة غيبية، نحو دلالة (الميتافيزيقيا)، أو دلالة (ما وراء)، وبهذا يصبح معناه (ما وراء النقد). أما مصطلح "نقد النقد" فهو أكثر تحديداً ووضوحاً.

¹ أنظر : محمد ، باقر جاسم : نقد النقد أم الميتانقد، محاولة في تأصيل المفهوم. مجلة عالم الفكر، العدد3، المجلد 37 مارس 2009 ص107.
² أنظر : لخضر ، العرابي : مفهوم نقد النقد عند علي حرب . أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب . جامعة قاصدي مرباح ، جامعة ورقلة ، الجزائر، ص141/ وللزيد . بنظر : عتيق ، عمر : في قضايا المصطلح النقدي والبلاغي والعروضي والإعلامي. ط1، دار جريز ، 2015، ص77 وما بعدها.

³ محمد باقر جاسم : نقد النقد أم الميتانقد، محاولة في تأصيل المفهوم. مجلة عالم الفكر، العدد3، المجلد 37 مارس 2009 ص107.

⁴ قلقلة ، عبد العزيز : نقد النقد في التراث العربي. مكتبة الأنجلو المصرية ، 1974، ص8

⁵ أنظر : محمد ، باقر جاسم : نقد النقد أم الميتانقد ، محاولة في تأصيل المفهوم. مجلة عالم الفكر ، العدد3، المجلد 37 مارس 2009

وقسم باقر جاسم محمد "نقد النقد" إلى فرعين، الأول نقد النقد النظري وهو الحوار الذي يناقش الأسس النظرية للاتجاهات النقدية مشككاً في جدواها، ومبيناً أوجه قصورها، ويهدف إلى اقتراح بدائل للمناهج والنظريات النقدية السائدة. والفرع الثاني وهو الذي يسلب الضوء على نقد نص تطبيقي بعينه، ويقوم بعملية استقراء للنص النقدي التطبيقي مبيناً الجوانب الإيجابية فيه، وجوانب الإخفاق بالارتباط مع النص الأدبي الذي درسه النص النقدي.⁶ وينسجم هذان الفرعان مع محاور الدراسة.

وظائف نقد النقد:

تتسم وظائف نقد النقد بقراءة مزدوجة الهدف، فهو يقرأ النص النقدي قراءة محاورة واختلاف، وفي الوقت نفسه، ينجز قراءته الخاصة للنص الأدبي المنقود، ويقوم بتفكيك مقولات النقد الأدبي لفحص العناصر الأيديولوجية الثاوية في المزاعم الأدبية، ويكشف عن طبيعة المؤثرات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي جعلت الناقد يتبنى منهجاً نقدياً دون سواه، ويضع عمل الناقد في سياق أكبر يكشف عن صيرورة النقد الأدبي وتحولاته، ويربط بين العوامل السياقية الخارجية التي تحفز عملية التطور الأدبي، ومن ثم تطور النقد الأدبي نفسه.⁷ وقد تجلت القراءة مزدوجة الهدف في نقد الطرابيشي للخطاب الفكري عند الجابري كما سيظهر في الدراسة.

والفرق بين النقد الأدبي ونقد النقد أنّ موضوع النقد الأدبي يتضمن عنصراً واحداً هو دراسة الأعمال الأدبية وطرق

تلقيها وتدووقها، أما موضوع نقد النقد فيتضمن عنصرين مختلفين:

أولهما النقد الأدبي في مستوييه النظري والتطبيقي. وثانيهما الأعمال الأدبية، هذا يعني أنّ موضوع نقد النقد أوسع من موضوع النقد الأدبي، لأنّ النقد الأدبي نفسه يقع ضمن موضوع نقد النقد. ويستلزم هذا الفرق الجوهرى بين موضوع النقد الأدبي، وموضوع نقد النقد العمل على فكرة استقلال نقد النقد عن النقد الأدبي، كما يترتب على هذا الاختلاف في موضوع أنّ يختلف نقد النقد، بهذه الدرجة أو تلك عن النقد الأدبي في كل من آلياته ومصطلحاته وأهدافه التي يهدف إليها، من منطلق أنّ نقد النقد ينطوي بالضرورة على النقد والانتقاد ونعني به نقد الأفكار والأسس والمناهج معاً.⁸ ويرى إدوارد سعيد أنّ ممارسة النقد تتخذ أربعة أشكال رئيسية:

الأول: النقد العملي الذي نجده في مراجعة الكتب وفي الصحافة الأدبية. وقد احتقت الدراسة بهذا الشكل النقدي؛ لأن الحوار النقدي يتجلى في الصحافة الأدبية أكثر من ظهوره في المؤلفات النقدية. **والثاني:** هو التاريخ الأدبي الأكاديمي الذي ينحدر إلينا من الاختصاصات التي كانت قائمة في القرن التاسع عشر كدراسة الأدب الكلاسيكي وتاريخ الحضارة. **والثالث** هو التقويم والتأويل من زاوية أدبية، وعلى الرغم من أن هذا الشكل بالأساس عمل أكاديمي فإنه، على نقيض سلفيه، ليس مقصوداً على المحترفين وعلى أولئك الكتاب الذين يبرزون من حين إلى آخر. فالتقويم هو الشيء الذي يعلمه ويمارسه أساتذة الأدب في الجامعة. **وأما الشكل الرابع** فهو "النظرية الأدبية".⁹

⁶ المرجع نفسه . ص 118

⁷ المرجع نفسه . ص 120

⁸ المرجع نفسه . ص 118

⁹ أنظر سعيد، إدوارد : العالم والنص والناقد . ترجمة: عبد الكريم محفوض . منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص5

المبحث الثاني

الحوار النقدي بين قرنين

يرمي هذا المبحث إلى رصد التقاطع بين ثقافة الحوار النقدي قبل مائة عام تقريباً، وثقافة الحوار النقدي المعاصر الذي تعابنه الدراسة بهدف الكشف عن العلائق الفكرية والمنهجية بين نقاد تلك المرحلة ، والنقاد المعاصرين. وتذهب الدراسة إلى أن القضايا النقدية بين المرحلتين متشابهة ، وأنّ الدوافع الثقافية التي أفضت إلى ظاهرة نقد النقد في المرحلتين متماثلة، ويجسد هذا التشابه والتماثل ديمومة اختلاف الرؤى الفكرية والمشارب الثقافية بين النقاد على الرغم من أنّ الفاصل الزمني بين المرحلتين مائة عام.

ومن المرجح أنّ أضخم معركة أدبية في ميدان الشعر بدأت عام 1917 واستمرت سبعة عشر عاماً. ومن المعلوم أنّ الشعراء الثلاثة "شكري والمازني، العقاد، بدؤوا حياتهم الفكرية معاً ثم اختلف العقاد والمازني مع شكري. وشن المازني هجوماً عنيفاً على شكري في مقاله "صنم الألاعب"، ثم عاد المازني فصّح موقفه من شكري عام 1930.

ورصد عبد الرحمن شكري في مقدمة ديوانه السرقات الشعرية عند المازني ، وذهب إلى أنّ قصيدة "الشاعر المتحضر" للمازني مأخوذة من قصيدة للشاعر شيلي الإنجليزي وقصيدة "قبر الشعر" منقولة عن هيني الشاعر الألماني، وقصيدة "فتى في سباق الموت" هي للشاعر هود الإنجليزي، وقصيدة الورد الرسول هي للشاعر ولز الإنجليزي. وسنجد صدق هذا الحوار حينما تعرض الدراسة لاتهام بعض النقاد بالسرقة النقدية.

ووجه عبد القادر المازني نقداً لاذعاً لشعر أحمد شوقي في قوله : ليس شوقي عندي بالشاعر ولا شبهه، وإنه لقطعة قديمة متلكئة من زمن غابر لا خير فيه. يغني عنه كل قديم ولا يضيف هو إلى قديماً أو حديثاً وما قرأت له شيئاً إلا أحسست أنني أقلب جثة ملئت صديداً وشاع فيها الفناء علواً وسفلاً. وتحفل الدراسة بهذا الحوار النقدي في مبحث الحوار الساخر، والخروج عن منظومة القيم بين النقاد ، كما سيتجلى في حنايا الدراسة.

من ملامح الحراك النقدي

شغل السجال النقدي حيزاً لافتاً في الصحافة الأدبية قبل مائة عام تقريباً، ووصف بعض النقاد ماهية ذلك السجال والحوار بـ"المعارك الأدبية" التي كشفت عن التباين الثقافي والمنهجي بين الأدباء والنقاد. وتوزع الحوار النقدي في ذلك الوقت على مسارات عدة، نحو الخلاف حول استعمال اللهجات العربية بدلاً من اللغة الفصيحة، والدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية. والسجال بين طه حسين والعقاد حول صراع الثقافتين الفرنسية والإنجليزية في مصر. والنزعة اليونانية بين زكي مبارك وطه حسين. والصراع بين هيكل وطه حسين حول التاريخ والأسطورة. والجدال بين رفيق العظم وطه حسين حول طريقة كتابة التاريخ.

وشهدت الصحافة الأدبية حواراً عُرف بـ "آداب الساندويتش" بين الزيات والمازني والعقاد ، وهو مساجلة هادئة حول الأدب، عندما انتشرت ظاهرة الأدب السريع الصحفي الذي لا يراعي قواعد النحو ولا أصول اللغة، وهي صيحة تصور مدى الخطر الذي تعرض له الأدب في تلك الفترة. وكذلك ظاهرة الأدب المكشوف بين توفيق دياب وسلامة موسى التي حفلت بها جريدة السياسة حينما فتحت مجال المناقشة حول سؤال: هل يضيرنا أنّ يسمي كتابنا الأشياء بأسمائها ، وأنّ يكتبوا أو يعربوا لقرائهم ما تتطوي عليه مخادع الزوجين أو الخليين من أسرار طالما ظلت مكتومة؟ أم هل نقول إن المتعمق في وصف

التفاصيل مضعف لأخلاق الناشئين؟ وقد دافع سلامة موسى عن الحرية المطلقة في الأدب وعدم التقيد أصلاً بالأخلاق بينما رفض توفيق دياب رؤية سلامة موسى.

ودار خلاف فكري بين عبد الرحمن الرافي وعباس محمود العقاد حول "كفاية" التراث الشرقي لنضج الحياة العقلية عند الشرقيين. أخذ فيها الرافي جانب قصور التراث الشرقي وضرورة الترجمة وأخذ العقاد جانب كفاية التراث الشرقي. وعندما أصدر عزيز أباطة ديوانه "أنات حائرة" كتب طه حسين مقدمة الديوان، فنشر المازني مقالاً في البلاغ هاجم فيه هذه المقدمة قائلاً: إنَّ الدكتور طه حسين قد خسره الأدب، ولم ترحه الحكومة. وقد أثارت هذه "المقدمة" ثائرة طه حسين، الذي وجه خطاباً إلى رئيس تحرير البلاغ ضمنه نوعاً جديداً من الهجاء اصطنع فيه أسلوب الرمز والإيماء مؤكداً بأنه لا يتحدث إلى القارئ بقدر ما يتحدث إلى المازني نفسه.

وكتب أحمد أمين مجموعة مقالات في مجلة الثقافة تحت عنوان "جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي" (1939)، وقد واجهت مقالاته رداً عنيفاً من زكي مبارك الذي كتب سلسلة مقالات بعنوان "جناية أحمد أمين على الأدب العربي"، واستمر السجال بينهما ستة شهور على صفحات مجلة الرسالة.

وجرت مساجلة حول "مستقبل الأدب العربي" حين أنشأ أحمد أمين في مجلة الثقافة مقالات عدة تناول فيها ضرورة إنشاء أدب جديد يعني بالإصلاح الاجتماعي وعرض للأدب الاجتماعي الأمريكي، وهاجم الأدب الذي يعتمد على التراث القديم ويستوحي أساطير اليونان والرومان. ورد عليه "توفيق الحكيم" مبيناً أنَّ الأدب الباقي هو الذي لا يرتبط بالأحداث ولا بالمشاكل الاجتماعية العامة؛ وإنما يبقى الأدب حين يتصل بالإنسانية.¹⁰

واستثناساً بما تقدم ترصد الدراسة أبرز تجليات ثقافة الحوار بين النقاد، وتوزع على ثمانية محاور، **الأول:** النقد الموضوعي الذي يتسم بالشفافية والصراحة والوضوح، ويسجل المآخذ المنهجية، ويشيد بالرؤى الفكرية المائزة، ويتعد على المواقف الضبابية والرمادية، ويتجاوز المواقف الشخصية. **والثاني:** النقد المنهجي الذي يتوسل بمنهج نقدي في معاينة النصوص بعيداً عن الرؤية الذاتية، ويعلل قبوله أو رفضه للموقف النقدي. **والثالث:** الحوار الانفعالي أو (الخروج عن منظومة القيم في الحوار النقدي) الذي تحفل به الصحافة الأدبية في غير مكان، ومن المؤسف شيوع الألفاظ النابية والتعبيرات الجارحة بين بعض النقاد. **والرابع:** إقحام الطائفية في الخطاب النقدي. وعلى الرغم من أنَّ ظاهرة الطائفية في الحوار النقدي محدودة إلا أنها مؤشر خطير ينبغي التصدي لها وتطهير الخطاب الثقافي منها. **والخامس:** ثنائية المدح والذم في الحوار النقدي التي يبرز فيها الجمع بين الإشادة والإشارة إلى المآخذ في الدراسات النقدية. **والسادس:** الحوار الأحادي (حوار من طرف واحد) حينما يمتنع ناقد عن الرد على ناقد كما هي الحال في امتناع الجابري عن الرد على الطرابيشي. **والسابع:** تذمر المبدعين من النقاد، وتتجلى هذه الظاهرة في الصحافة الأدبية والمحافل الثقافية. **والثامن:** تأثير السرقات في الدراسات النقدية على ثقافة الحوار.

أولاً: الحوار الموضوعي

يسمو على الأحكام المطلقة، ويحرص على التفريق بين الرؤية النقدية والموقف من الناقد. ويسجل الناقد إعجابه وتقديره برؤى نقدية على الرغم من رفضه لرؤى نقدية أخرى للناقد نفسه. ومن أبرز نماذج ثقافة الحوار الموضوعي مواقف جورج الطرابيشي من الخطاب الفكري للجابري. ومن المعلوم أنَّ الطرابيشي عارض خطاب الجابري في غير دراسة، وبخاصة في كتابه (نقد نقد العقل العربي) الذي ذهب فيه أنَّ الجابري فرض منهجه على القراء (وأن مكنم الخطورة والقوة معا في خطاب

¹⁰ أنظر: الجندى، أحمد أنور: المعارك الأدبية. مكتبة الأنجلو المصرية، 1983، ص 71، 127، 137، 155، 169، 185، 194، 205، 231، 241، 299، 319، 537، 547،

الجابري أنه يعرض نفسه- أو يفرضها بالأحرى- على متلقيه من خلال شبكة من الإشكاليات. والحال أن كل نقد يكتفي بمناقشة نتائج الإشكاليات يبقى أسيراً لها).¹¹

وفي موضع آخر يسجل الطرابيشي تقديره لجهود الجابري في قوله : (بعد أشهر ثلاثة من صدور كتاب تكوين العقل العربي ، كتبت في العدد الأول من مجلة " الوحدة " تعليقاَ مطولاً ثمنتُ فيه الكتاب تَمِيناً عالياً باعتباره " أطروحة عن العقل وفي سبيل العقل ". وعلى الرغم مما أبديته في حينه من انتقادات واعتراضات جزئية، فقد ختمت التعليق بالقول: " إنَّ الذهن بعد مطالعة تكوين العقل العربي لا يبقى كما كان قبلها. فنحن أمام أطروحة تُغيّر، وليس مجرد أطروحة تُثَقّف).¹² ويتهم الطرابيشي شواهد الجابري بالتحريف والتزييف كما يتجلى في قوله: (ثم اندفعت أتحرى عن شواهد الجابري وأتحقق منها واحد واحداً، سواء أكانت عربية أم أجنبية، فافتتح عندئذ أمامي باب أكبر للذهول: فليس بين مئات شواهد الجابري في "تكوين العقل العربي". سوى قلة قليلة ما أصابها تحريف أو تزييف ، أو توظيف بعكس منطوقها").¹³

وعلى الرغم من تهمة التحريف والتزييف يعود الطرابيشي مثنياً بعض الرؤى النقدية في خطاب الجابري كما في قوله: (ولست أملك سوى أن أعترف له مرة أخرى بأن قراءة " تكوين العقل العربي " قد غيرتني فعلاً. فلولاها لما كنت عاودت خلال الثماني سنوات التي تصرمت بناء ثقافتي الفلسفية والتراثية).¹⁴ وفي موضع آخر يشيد الطرابيشي بعلم المعرفة في خطاب الجابري (ولكن لنقرّ حالاً بأن ما صنع مجد الجابري من وجهة النظر المعرفية ليس من طبيعة سوسولوجية أو سيكولوجية، بل هو بالأحرى من طبيعة إبستمولوجية ، وما يميز الجابري عن تقدمه من الذين كتبوا عن العقل العربي هو قوة تأسيسه النظري ، أو الإبستمولوجي، كما يؤثر أن يقول، لهذا العقل، ورفعته إياه من مستوى اللفظ أو المعنى، إلى مستوى المفهوم).¹⁵ إنَّ ثقافة الحوار في المشهد النقدي بحاجة ماسة إلى طبيعة هذا النقد الموضوعي الذي يتسم بالشفافية والصرحة والوضوح، ويسجل المآخذ المنهجية ، ويشيد بالرؤى الفكرية المائزة ، ويبتعد على المواقف الضبابية والرمادية ، ويتجاوز المواقف الشخصية.

ويقول الطرابيشي بأنَّ الجابري أوصلنا إلى قمة، ولكن هذه القمة لا يمكن أن تكشف لنا عن المشهد كاملاً غير مجزئ. ويجب البحث عن قمم جديدة. ويضيف: لا أنكر على الجابري ما قدمه ، ولكن لا يمكننا الوقوف عنده. فعندما ننظر إلى الحضارة الغربية نجد أنَّ الحداثة الغربية لم تتوقف عند أي من أعلامها الكبار مثل "فولتير" و"مونتسكيو" و"ديكارت"، بل عملت دائماً على تجاوزهم، لذلك لا يمكن أن يكون الجابري سوى نقلة من النقالات المعرفية التي يجب تجاوزها إلى ما هو أبعد.¹⁶ ومن نماذج الحوار الموضوعي موقف الناقد صبحي حديدي من الخطاب الفكري للغدامي ، فموقفه يتوزع بين القبول والرفض ، فتارة نجده مدافعاً عن الغدامي ومثنياً لخطابه النقدي كما في قوله : إنَّ خلافي مع الغدامي لا يسقط عني الحق، قبل الواجب، في التضامن معه بصفة مفتوحة لا حدود لها، وفي تامين موقعه النقدي والثقافي والفكري. والغدامي أخلص الوفاء للمنهج الأمّ الذي سار عليه منذ كتابه الأول (الخطيئة والتكفير. من البنيوية إلى التشريحية: قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر). وتارة نجده منتقداً رافضاً مستغرباً من خطاب الغدامي، كما في قوله: إنَّ الغدامي لا يتردد في إخضاع النصّ المعنيّ بالدراسة (وهو، هنا،

¹¹ طرابيشي ، جورج : نقد نقد العقل العربي . دار الساقى ، ط1 ، 1996 ، ص7

¹² المرجع نفسه . ص8

¹³ المرجع نفسه . ص9

¹⁴ المرجع نفسه . ، ص9

¹⁵ المرجع نفسه . ، ص12

¹⁶ حوار مع جورج الطرابيشي أجراه هادي محمد . موقع الجزيرة نت . 2010/5/18

أدب حمزة شحاتة) لمفاهيم فضاضة شديدة التعميم، مثل الافتداء والخطيئة الأصلية والتكفير، يجري إسقاطها قسراً على وجدان شاعر مسلم الثقافة. وعلى الرغم من الإطراء الذي تجلى في مستهل كلام الحديدي إلا أنه يواجه صفة نقدية لأبرز مشروع ثقافي في قوله: إن ما يسميه الغدامي بـ"النقد الثقافي" بوصفه نذير موت النقد الأدبي، ما هو إلا النقد الأدبي العتيق الجديد دون سواه، ولكن بعد تلوينه أو إعادة تلوينه بهذه أو تلك من أصباغ "الدراسات الثقافية".

ويعود الحديدي إلى تسجيل الإعجاب والتقدير في قوله: يبقى أن الغدامي رائد في نقل المناهج النقدية الحديثة إلى جامعات اتسمت، في السابق، بالنزعة المحافظة والتشدد في قبول الجديد، خصوصاً إذا كان غريب المنبت، وهيمته لا تكلف في تقديمها على أكثر من صعيد: التعريف بها وتقريبها إلى القارئ عن طريق مرجعيات تراثية وحديثة ومعاصرة.¹⁷

ويقتضي الحوار الموضوعي الابتعاد والتسامي عن الأمور الشخصية، والتفريق بين الخطاب الفكري والقضايا الشخصية والعائلية، وقد تحقق هذا الشرط الأخلاقي لدى المفكر محمد عمارة الذي رفض قرار السلطات المصرية بمنع مؤلفات نصر حامد أبو زيد، كما رفض قرار السلطة القضائية التي قضت بالتفريق بينه وبين زوجته بعد (ثبات) ارتداده عن الإسلام. يقول محمد عمارة: (إن قضية الدكتور نصر أبو زيد، هي قضية فكرية، مجالها الحوار الفكري، والمختصون فيها هم المفكرون والباحثون. وهي ليست قضية قانونية، يختص بها المحامون ودوائر القضاء. وهذا ليس تقليلاً من شأن المحامين والقضاة... والدكتور نصر صاحب مشروع فكري، وأنا ممن يختلفون مع قضاياها المحورية اختلافاً جذرياً. فكتاباته تدور حول تاريخية النصوص المقدسة، أي نفي الخلود والعموم عن أحكامها. وأنا أرى أن مثل هذه الأفكار يجب أن تكون موضوعاً لحوارات فكرية جادة وموضوعية، لا أن تكون مادة لدعاوى وأحكام قضائية... فأنا ضد مصادرة كتب نصر أبو زيد لأن الإسلام دائماً كان يطلب البرهان.¹⁸

ويتصف تقييم ياسين عايش لكتابي إبراهيم خليل (الضفيرة والذهب، وجبرا إبراهيم جبرا الأديب الناقد) بالإطراء وتسجيل المآخذ، فيرى أن كتابي إبراهيم خليل هذين شائقان، ممتعان، فيهما تكمن من أدواته النقدية، واستبصار يحمده في اكتناه تجليات الإبداع، وتلخيصات دالة لمضامين روايات جبرا، وقصصه القصيرة، وتعريف بكثير من المذاهب النقدية، ومناهج الدرس الأدبي الحديثة، وتطبيقات موفقه في درس ما درّس من نتاج شعري ونثري. غير أن فيهما، إلى ذلك أيضاً، حدة، وصرامة، في إصدار الأحكام، بحق من يرون غير ما يرى في درسه للأعمال الأدبية، مع انه أول العارفين أنه ليس بالضرورة أن يقوم الدرس النقدي لأعمال أدبية على الطعن بجهود الآخرين، والتقليل من شأن ما توصلوا إليه تقليلاً يصل - أحياناً - حد الزرابة، والجور.¹⁹

ويرصد زياد أبو لبن غياب الشمولية في كتاب (فصول في نقد النقد) للمؤلف إبراهيم خليل، ويرى أن المؤلف لم ينتبع أغلب النقاد العرب الذين أسهموا في النقد الجديد، ولم يشر إلى رموز هذا النقد الذين تأثروا به، ولكن يسجل للدكتور ثقافته الواسعة في استدراك ما يمكن أن يفوته في نقد النقد، عندما ينتبع تياراً نقدياً امتد نحو نصف قرن، قبل ظهور تيار نقدي عربي حديث.²⁰

¹⁷ حديدي، صبحي: عبدالله الغدامي: إشكالية المسمى ومطحنة التسميات. الجزيرة الثقافية 2007/3/12

¹⁸ أنظر: عمارة، محمد: التفسير الماركسي للإسلام. دار الشروق، ط2، 2002، ص10

¹⁹ أنظر: عايش، ياسين: تطبيق نقدي موفق واكتناه لتجليات الإبداع. مقال منشور في كتاب (إبراهيم خليل ناقدًا) (قراءات وبحوث، جمعها وحررها وقدم لها زياد أبو لبن). دار أمواج للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2012، ص45

²⁰ أبو لبن، زياد: إبراهيم خليل والمبدع الموهوب. مقالة ضمن كتاب (إبراهيم خليل ناقدًا) (مرجع سابق). ص82

ثانياً: الحوار المنهجي

ترى الدراسة أنّ الحوار المنهجي هو اعتماد الناقد على منهج نقدي أو نظرية نقدية في رده على نص نقدي سواء كان الرد قبولاً أو رفضاً. وأن الناقد يهدف من استدعاء المنهج النقدي إلى معاينة النص المنقود بطريقة منهجية بعيدة عن الرؤية الذاتية. يبنه محمد خرماش على سلبيات المناهج السياقية (المنهج الاجتماعي) التي تستأنس بالمحيط الخارجي للنص أثناء تحليل النص الأدبي، ويرى أنّ النقد المرجعي الصارم، ولا سيما في الدراسات السوسيو- نصية المعاصرة- يستبعد الأحكام المسبقة، ولا يريد الوقوف على الحقيقة المرجعية إلا من خلال النص، لأن الاستعانة، بما هو خارج عنه، أو سابق له، نوع من التجاوز له، أو لخصوصياته، وقد يكون فيه من الانشغال بموضوعه، أو بما حوله، أكثر مما فيه من الانشغال به، وبحقيقته، وتحققه، وعلى ذلك، فالنقد الموضوعي المرجعي ذو خطين متوازيين له ما لهما، وعليه ما عليهما وذلك في دراسته للخطاب النقدي الاجتماعي عند إبراهيم خليل الذي يرى أنّ فهم بعض النصوص مرتبط بتكوين فكرة صحيحة، وتامة، عن الموضوعات التي تعالجها، فالذي لا يعرف حقيقة الريف الأردني، ولا عاداته، ولا التطورات التي مر بها، لا يمكن- مثلاً- أنّ يفهم رواية "العودة من الشمال" لفؤاد القسوس (1972)، ولا رواية "وجه الزمان" (1998) أو "حائط الصفصاف" لطاهر عدوان (1990).²¹

ويحتكم عادل الأسطة إلى المنهج التفكيكي في رده على الشاعر الناقد أحمد دحبور الذي قدّم عرضاً لكتاب الأسطة "أدب المقاومة من تفاؤل البدايات إلى خيبة النهايات" ويسوق الأسطة مقولة التفكيكين: إنّ كل قراءة هي إساءة قراءة "و" إنّ الكتابة كانت مشوهة دائماً، لأنها قابلة للتأويل وتنزع إلى التملص من التحديد وحيد المعنى "و" إنّ النص المكتوب يمكن أنّ يقرأ وتعاد قراءته ضمن سياقات مختلفة تخلص إلى إنتاج انزلاقات للمعنى تكون نتيجتها الرئيسية الإرجاء؛ ليثبت أنّ دحبور أساء قراءة الكتاب، وأنه قوله ما لم يقل. ويختتم الأسطة رده بأنّ كل قراءة هي إساءة قراءة.

ومن الأمثلة التي أوردها الأسطة على (سوء) قراءة أحمد دحبور أنه (الأسطة) كتب ما يلي: "يذكرنا غلاف ديوان سميح القاسم الأخير" أرض مراوغة، حرير كاسد، لا بأس" (1995) بقصيدة محمود درويش "يحبوني ميتاً"، ويورد تعقيب أحمد دحبور ("وقد وصل التصيد به إلى حد اعتبار غلاف إحدى مجموعات الشاعر مسروقاً من صورة شعرية للشاعر محمود درويش...". ويعقب الأسطة على قول أحمد دحبور: (وأظن أن هناك فرقاً بين "يذكرنا" و"اعتبار غلاف إحدى مجموعات الشاعر مسروقاً").²²

وفي رد فاروق مواسي على نقد عبد اللطيف عقل (رحمه الله) لقصيدة "ليلة ابن المعتز" ملامح من النقد المنهجي في قوله: لست أقطع أنّ الناقد الكريم- عندما التفت إلى قصيدتي (ليلة ابن المعتز) كان يستشف القضية التي شغلتنني فيها. أو كان يسبر غور الموقف، وإلا لما كان يشك في فعالية التضمين، واستخدام الموسوع التراثي في هذه القصيدة. ويضيف د مواسي: كان أحري بالناقد لو التفت الى مقاطع أعجبه، أو لم تعجبه، أو على الأقل تحدث عما في القصيدة، أو على الأقل لم يكن نقده هوائياً ذاتياً). ورداً على رمي الناقد له بالقصور واستخدام النثر الشعري لشعراء أكد أنّ استخدامه الموروث وتضمينه كان طبيعياً وتصعباً لهذا الموروث على ضوء المعطيات الحياتية المعاصرة. ولهذا نصحه بأنّ يدرس القصيدة لغوياً، ويرجع الى خلفية ثقافية. ففي هذا السبيل الاصولي قبل الحكم النص أو عليه.²³

²¹ أنظر: خرماش، محمد: من التاريخي إلى النقد النصي (قراءة في خطاب إبراهيم خليل النقدي). مقالة ضمن كتاب (إبراهيم خليل) (مرجع سابق)، ص 17

²² أنظر: الأسطة، عادل: القراءة وإساءة القراءة. صحيفة الأيام 10 تشرين الأول 2006

²³ أنظر: زهد، عبد الحكيم عبد اللطيف: حركة النقد الأدبي الفلسطيني في فلسطين المحتلة بعد الخامس من حزيران (1967-1976) 2، ص 364

وينتقد أدونيس خطاب "النسق" عند الغدامي الذي لا يزال يشتغل في الإطار التقليدي، وأنه لا يميز بين الأنا الفردية والأنا الإنسانية، وهو خلط أوقعه في مسألة النسق، ولهذا السبب أحس أن الغدامي إمام جامع وليس ناقداً.²⁴ ويرى أدونيس أن الغدامي يتكلم على الشعر بأدوات وطرق غير شعرية، ومن خارج الشعر، وهذا وحده دليل على فساد نقده. وأن نقده الثقافي في جوهره تسمية أخرى للنقد الماركسي التبسيطي المؤدلج المباشر الذي لا يفهم الشعر بالشعر، بل بما حوله وبما هو خارجه.²⁵

ثالثاً: الحوار الانفعالي (الخروج عن منظومة القيم في الحوار النقدي)

يؤدي إلى الرد على الرأي الآخر بأسلوب لغوي يفتقر إلى منظومة القيم التي يقتضيتها الخطاب النقدي. وقد رصدت الدراسة الأساليب اللغوية للسجال النقدي من حيث التزام بعضهم بمنظومة القيم التي تقتضيتها "ثقافة الحوار"، وخروج بعضهم عن تلك المنظومة. ويحرص بعض النقاد على القناع اللغوي المفعم بعبارات الاحترام والتقدير واستخدام الألقاب العلمية والتأكيد على القامات الثقافية للنقاد المردود عليهم، ولكن سرعان ما يسقط القناع اللغوي فتظهر لغة الهجوم والتجريح التي تصل أحياناً إلى ألفاظ نابية لا تليق بالمستوى الأخلاقي للمشهد النقدي.

يصف الكاتب أحمد زين الخلف بين عبد الله الغدامي والشاعر محمد العلي بقوله: لم يكن أقطاب الحداثة في السعودية أفضل حالاً، في صراعاتهم وخلافاتهم، من الأجيال التالية لهم، إن لم يكونوا أشدّ تهوراً في استخدام مفردات لا تستوعبها قواميس اللغة المتعارف عليها، وأكثر انزلاقاً إلى مستويات "سفلية" من الكلام، عند الاختلاف في ما بينهم.²⁶ وبدأ السجال بينهما في أعقاب أمسية شعرية أحيها الشاعر محمد العلي، في نادي جدة الأدبي، ودار نقاش مفتوح، حول الحداثة والنقد في السعودية قال فيه الشاعر محمد العلي: إن الغدامي "ناقد من النقاد لا أقل ولا أكثر، له ما له وعليه ما عليه"، مشيراً إلى أخطاء الغدامي في كتاب الحداثة، وقال أيضاً: "يجب على الإنسان الاعتراف بأخطائه وتصحيحها، لنلا يكرها. ومن أراد أن يسجل تجربته وحكايته فعلية أن يكون صادقاً. وأضاف: "لا يمكن أن يدعي أحد أبوة الحداثة مفهوماً أو فعلاً، لأنها تتطور...، وعلى كل مبدع أن يولي الحداثة نشاطاً خاصاً. أما أن يتكلم مدع ما أو ناقد ما بخلقه الحداثة أو يأتي أحد من وراء جدار برلين ويقول بخلق الحداثة فهذا شيء مرفوض... الحداثة لا يمكن أن يصنعها فرد.²⁷ ويبدو تعقيب الشاعر العلي خالياً من الألفاظ النابية ومنسجماً مع منظومة القيم التي يقضيها الحوار النقدي، بل إن تعقيبه يقترب من النقد الموضوعي، وبخاصة في قوله: (له ما له وعليه ما عليه). كمان أن الربط بين الحداثة والفعل الثقافي الجمعي ينسجم مع الرؤية الفكرية الموضوعية التي تؤكد أن الفرد المبدع هو جزء من الحداثة، وليس الحداثة كلها. وجاء رد الغدامي مدوياً يشوبه قدر كبير من الغرور، والحط من شأن خصمه حينما وصف الشاعر محمد العلي بـ"الطريدة الهزيلة" ولم يعتبره نداً له، للرد عليه أو التصارع معه. ويقول: إن من الممكن أن يلاحق الأسود "أو النجوم العوالي، أو أتحدث عن أبي الطيب المتنبي وأدونيس ونزار، وأقول إنهم نسقيون، أما سواهم فلا.

²⁴ السماوي، زين : مقال (أدونيس .. هل كان يرد الاعتبار للبازعي والسريحي وآخرين؟ عندما قال : الغدامي سطحي وتقليدي ... وليس ناقداً!) جريدة الحياة، ع 15714، ص33، 2006/4/13.

²⁵ أنظر : فاضل، جهاد : ماذا يعني هجوم أدونيس على الغدامي ؟. صحيفة الرياض . 2010/10/27

²⁶ أنظر: زين ، أحمد : مقالة (مقفون سعوديون يستنكرون السجال "الطاحن" بين الغدامي والعلي. الشاعر والناقد عندما يتراشقان بالشتم والتهم.) صحيفة الرياض العدد: 16681، 2008/12/5، ص16

²⁷ انظر : المرجع نفسه .

وتحول رد الشاعر العلي من الهدوء والموضوعية إلى اتهام الغدامي بسرقة الأفكار النقدية من غيره من النقاد والمفكرين، وأنّ الغدامي حين يسرق النظريات فإنه يتوهم أنها من ثمار قريحته المجدبة"، وأضاف أنّ الغدامي "يتسلق إلى الشهرة على سلم ازدياء الآخرين".²⁸

ويرى الناقد عالي القرشي أنّ خلاف العلي والغدامي "خرج عن المنهجية والعلمية". وعبر الشاعر علي الدميني عن استهجانته بقوله: "أعلن رفضي واشتمزازي المطلق مما حدث، إذ ليس في إعلان المنازلة عبر الصحف، وبهذه اللغة خدمة للثقافة". ولم يستغرب الشاعر محمد زايد ما حصل "لكونه جزءاً من آليات العمل الثقافي في السعودية". وأبدى الناقد أحمد بوقري استياءه مما وصل إليه مستوى الحوار، مشيراً إلى أنّ ما حصل "كشف عن بعض الأمور المستورة والمسكوت عنها، خصوصاً في ما يتعلق بالغدامي". لافتاً إلى أنّ "ما كان على الغدامي أن ينزل بالحوار إلى هذا المستوى أمام قامة مثل العلي". ويؤكد الشاعر محمد الثبيتي أنّ العلي أكبر مما قيل. وهذا هو الغدامي، وهذه حقيقة منذ عاد حاملاً نظريات الغرب، ليطبّقها على نصوص تلك المرحلة". واعتبر الناقد محمد الحرز الغدامي "نرجسياً، متضخماً الذات، وينظر إلى الآخرين على أنهم أقل منه في المستوى الثقافي... على خلاف الشاعر محمد العلي المتواضع مع الكبير والصغير". وطالب الحرز الغدامي بأنّ "يكون أكثر تواضعاً". وقال الشاعر عبدالرحمن موكلي: "ما كنا ننتظر من الغدامي والعلي، بعد هذا العمر هذا النزال وتبادل الاتهامات، إذ توقعنا منهما العمل على مشروع مشترك يخدم الثقافة المحلية والعربية، ويسهم في حضورنا العالمي".²⁹

ويسخر الغدامي من حسن الهويل في قوله: والهويل إذا أهمل يندب حظه، يلطم وجهه، ويشق جيبه، إنه لم يزل يحفظ دروس معلميه عن أقسام الآداب، صح النوم يا دكتور أين أنت من أطروحات البرتو إيكو... إنّ بحوثي منشورة بالعربية التي تجيدها - وإن كنت تلحن فيها كثيراً. وهذه فروق بين رجال تبني وهويل يهدم. هل يقرأ الرجل مثلما يقرأ سائر البشر؟ أي هل يفتح كلتا عينيه ويفتح عقله أمام المقروء؟ ولا يخفى أنّ الغدامي يقصد أنّ مطالعته في المشهد الأدبي والنقدي ترمي إلى بناء مشروع ثقافي، وأنّ الملاحظات النقدية التي يسجلها حسن الهويل هدم للنقد وللمشروع الثقافي. ويرد الهويل على الغدامي بقوله: "حاذقون في تشكيل الساحة الملائمة لهم، وحاذقون في جر قدم الخصوم...، القمامات الفنية (البنوية) يكون في بعض مواقفه مستخدماً مستكيناً يتسلل لوأدا ويتوارى من القوم بدافع من سوء فعلته ويتمترس وراء مخدوعيه يدافع عن نفسه بأقلامهم".³⁰

ويصف الغدامي منتقديه (بعد محاضراته بجامعة الملك سعود حول الليبرالية) بأنهم ليسوا سوى كتبة مقالات يومية يقف مستواهم العقلي عند السقف اليومي، وأنّ ما لاحظته منهم هو نوع من "المراهقة الثقافية، بل إنّ بعضهم كان على درجة من السوقية والسفاهة في لغتهم وتفكيرهم".³¹ وشهدت المداخلة مشادة بين الغدامي وأحد الحضور الذي اعترض على وصف الغدامي لأحد الحاضرين بـ"الجبان" بعد أنّ أرسل سؤالاً لم يذيله باسمه، ورد الغدامي بأنّ من يرسل سؤالاً دون اسمه فعليه ألا ينتظر جواباً مني، وتساءل كيف لي بعد أنّ أتحدث عن الشجاعة أنّ أحاور جبناً، مطالباً بضرورة احترام الشخص

²⁸ أنظر : المرجع نفسه .

²⁹ أنظر : المرجع نفسه .

³⁰ أنظر : القعيب، خالد :صحيفة الوطن السعودية 2013/12/1 وأنظر : مقالة الغدامي التي نشرت في صحيفة الرياض في 17/سبتمبر/1992

بعنوان " والهويل إذا أهمل

³¹ الحربي، حسين : صحيفة الوطن السعودية . 2011 /4/8

لاسمه حتى نضع سؤال الوعي. وبعد اعتذاره عن وصف الجبان أقسم الغدامي بأنه ما وصف السائل المجهول بالجبان إلا ليغريه بالشجاعة.³²

وتزعم الدراسة أنّ الخطاب النقدي عند عبد الله الغدامي وأدونيس يشكل مساحة واسعة في المشهد النقدي العربي؛ لأنهما ينتميان إلى مشربين ثقافيين متباينين، ويجسد التباين الثقافي بينهما الاختلاف في الرؤى الفكرية والمواقف النقدية والبنية الثقافية في النقد العربي المعاصر. كما أنّ الدارسين والباحثين المتابعين لخطاب الغدامي وأدونيس يمثلون نسبة عالية في المشهد النقدي، وعطفاً على ما سبق تزعم الدراسة أنّ السجال النقدي بينهما يجسد "المزاج النقدي الحاد"، ويمثل "بامتياز" ظاهرة "النقد الانفعالي"

يشبه عبد الله الغدامي الغموض في قراءات أدونيس بالحجاب الذي يُجمل المرأة أو يشوهها في قوله: هي قراءات ليست متعددة فحسب، ولكنها أيضاً متضاربة وقد تكون متناقضة. لا شك أنّ خطاب أدونيس اليوم هو خطاب محجب والخطاب المحجب لا يصل إلينا سافراً، بل يصل مع حجاباته، ونحن لا نقرأ ونفسر الخطاب ولكننا نقرأ هذه الحجابات، سواء ما هو تجميلي منها أو ما هو تشويهي.³³

ويصف الغدامي خطاب أدونيس بالحادثة الرجعية، وأنّ ظاهره حدائثي وباطنه رجعي، وأنه إنسان مطلق، ومتعالي الأنا، وملغ للأخر. وأنّ مشروع أدونيس ليس مشروعاً تحريرياً للعقل، بل إنه نفي للعقل، كما أنّ تضخيم الأنا، وجعلها مطلقة على صواب دائم، وغيرها على خطأ دائم، يعزز فكرة الطاغية، سواء كان الطاغية السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي. وهنا أقول لو أنّ أدونيس حكم العالم العربي سيكون حاكماً مستبداً، لأنّ المقولات الثقافية عنده تقوم على الاستبداد المطلق. ولو طلب مني أنّ أصك عملة، لوضعت في جهتها اليمنى صورة صدام حسين واليسرى أدونيس.³⁴

ويرد أدونيس على اتهام شعره بالفحولة في قوله: على الرغم أنني لم أقرأ ما كتبه الغدامي جيداً، لكنني قرأت اتهاماته لي ولنزار قباني بالفحولة، واتهمنا بأنّ حداثتنا هي حادثة رجعية، وكان رأيه خاطئاً، لأنّ نقده يتحدث عن الإبداع بشكل سياسي سطحي.³⁵

وعلق إبراهيم خليل على مقالة بعنوان (النص الغائب في شعر البياتي) للناقد محمد الغزوي بقوله: ألم يجد الغزوي ما يشغل به نفسه من أفكار جديدة في الأدب حتى يضطر لإعادة كتابة ما كتبه إحسان عباس ونشره عام 1955؟ ألم يظهر فيما تلا ذلك من سنين ما يستثيره ويغريه بالكتابة فيه دون أنّ يضطر لالتكاء على ما كتبه إحسان عباس فيجتر المقال اجتراراً، ويعيد القول في الموضوع استنساخاً وتكراراً؟... أمّا أنّ يرسل الأحكام إرسالاً من غير تدبّر، ولا روية، ويقول الناقد إحسان عباس ما لم يقل، فذلك ما لا ينبغي للمتابع أن يسكت عليه، أو أن يمر به مرور الكرام.³⁶

³² محرق، موسى: صحيفة الوطن السعودية. 2014/2/6

³³ أنظر: الغدامي، عبد الله. تأنيث القصيدة والقارئ المختلف. المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1999، ص، 186 185.

³⁴ جسد الثقافة <http://aljsad.com> /2008/11/24 وأنظر: صحيفة الشرق الأوسط الخميس 11 ذو القعدة 1430هـ.

29 أكتوبر 2009 العدد 11293

³⁵ السماوي، زين: مقال (أدونيس.. هل كان يرد الاعتبار للبايعي والسريحي وآخرين؟ عندما قال: الغدامي سطحي وتقليدي .

وليس ناقداً!) جريدة الحياة، 15714، ص، 33، 2006/4/13

³⁶ أنظر: خليل، إبراهيم: إحسان عباس ومحمد الغزوي، الأصل والصورة. القدس العربي. 2013/3/21

ويرد الغزي بقوله : فلماذا كلّ هذا التحامل كلّ هذا التمويه كلّ هذه المغالطات ؟ لا أعرف ولا أريد أن أعرف. وفي الأخير أحبّ أن أقول إني كنت أنتظر من دكتورنا الجليل أن يستأنس بمعجم أكثر أناقة وأقلّ صلفاً في مخاطبة خصومه الوهميين. فلا فائدة في استخدام كلّ هذا العناد من الكلمات الشاتمة دفاعاً عن قضية مفتعلة...افتعلها دكتورنا لسبب لا أعرفه ولا أريد أن أعرفه.³⁷

وفي بعض الحالات يؤدي الحقد والجهل إلى التهديد والاعتداء بالضرب، كما في وصف محمد مشايخ لخصوم إبراهيم خليل: لا أعرف ناقداً غير إبراهيم خليل تحمل الكثير من التهديدات، والعداوات الشخصية على خلفية كتاباته التي لطالما أزعجت ضعاف المبدعين، والمتطفلين على الأدب، وحين لم يكن التهديد يجدي معه، كانوا يوسطون له من يبلغه رسالة مفادها: "كف عن الكتابة عنا" واكتب بعدها عن تريد، وعندما لم يكن يستجيب، كان يتعرض لبعض القسوة، وأي قسوة أشد من قيام شاعر بحمل حجر كبير ورشقه به.³⁸

رابعاً: إقحام الطائفية في الخطاب النقدي

يعقب كاتب صحفي على عبارة أدونيس: (الغذامي إمام جامع وليس ناقداً) بقوله: (لم يجد أدونيس وصفاً يستخف به) بالنقاد الدكتور عبدالله الغذامي إلا أن يصفه بأنه (إمام مسجد)، فهل كان بتصنيفه ذلك يحمي نفسه مسبقاً من أي دراسة نقدية قد يفكر بها الغذامي مجرد تفكير لكتاباته؟³⁹

وليت الكاتب الصحفي اكتفى بهذا التساؤل، ولكنه اتكأ على السؤال ليفتح باباً لا ينبغي أن يلج منه ، فقد أقحم الخطاب الطائفي في رده على أدونيس بقوله: (أدونيس هو الكاتب الحدائي الوحيد الذي يصرح بطائفيته في الكثير من مقابلاته وكتبه ومقالاته، رغم تصريحه بالإلحاد، كما أنه مبدع الاستخفاف بعقول مريديه عندما يطالبهم بنقد مقدساتهم واختراقها وتجاوزها، موجها خطابه عند التفصيل للأكثرية (أهل السنة)، مع أنه يفترض به (كحدائي عربي) أن يكتب حداثة تخاطب اليهودي العربي والمسيحي العربي والمسلم العربي بكل طوائفهم، وأن يضيء لهم جميعاً ما الذي يستحق النقد في كل تراثهم وكتبهم المقدسة، لكن أن يستثني كل تراث هؤلاء ويكتب عن تراث السني فقط، فهذا يجعل من حداثته حداثة طائفية بامتياز؟)⁴⁰

ولا يخفى أن الكاتب الصحفي حمل عبارة أدونيس أكثر مما تحتمل ، وأقحم الطائفية في سياق ليس للطائفية فيه نصيب. وشرع بالدفاع عن قدسية "الجامع" ونسي "حداثة الغذامي" ! فما علاقة قول الكاتب الصحفي: (أدونيس لم يتطرق يوماً إلى أي مقدس مسيحي أو يهودي، بل إنه يخجل، أو لا يجرؤ على التطرق إلى ألصق الأشياء به.. أعني مقدس وتراث طائفته (فالأقربون أولى بالنقد الحدائي الذي لا تخيفه المقدسات)، مما يجعل اقتحام المقدس مجرد أكذوبة يستغل بها السطحيين من قرائه). بما قاله أدونيس عن الغذامي؟؟

وتصل مبالغة رد الكاتب الصحفي حينما يخلط بين الدفاع عن شخص الغذامي والدفاع عن المؤسسة الدينية في قوله: (أما المضحك فهو ضجيج ليل نهار ومواعظه حول خطورة مأسستنا للدين، مع أنه يدرك أننا أبعد الناس عن ذلك، فأهمية علمائنا تأتي من علمهم لا من مناصبهم، بل لا يوجد عندنا عصمة ولا قدسية للعلماء، وليس لدينا رجال دين ولا كهنوت

³⁷ أنظر: الغزي ، محمد : ردّ على مقال الدكتور ابراهيم خليل: احسان عباس ومحمد الغزي الاصل والصورة . القدس العربي. 2013/4/1

³⁸ أنظر : مشايخ ، محمد: إبراهيم خليل الناقد والموقف . مقال منشور ضمن كتاب (إبراهيم خليل ناقداً)، جمع وتحرير وتقديم : زياد

أبو لبن . ص 22

³⁹ الصوياني ، محمد : الغذامي وحداثة أدونيس . صحيفة الرياض . 2011/1/28

⁴⁰ المرجع نفسه .

ولا طبقات ولا رتب دينية، إلا الدرجات العلمية المعترف بها أكاديمياً، كما أنه يعلم أنه ليس من حق أي من علمائنا الحصول على إتاوات بصفته وكيلاً عن الله أو رسوله، ولا شأن لهم بتطهير وخلص الأرواح أو علاقات الأفراد مع ربهم، أو المغفرة نيابة عن الله.⁴¹

ويواصل الكاتب الصحفي اتهام أدونيس بقضايا لا علاقة لها بالخطاب النقدي. وما يقوم به الناقد أو المحاور في هذه الحالة هو فذلثة لأيدولوجيا الجماعة بحسب قدراته الخاصة، إنه يقتص من الآخر ويحاكمه فكراً وفق منطق تلك المجموعة. هذا بخلاف النقد أو الحوار المعرفي فهو انعكاس لصاحبه لأنه تأسيس لمعرفة، وليس ترجمة لرغبة جماعة مؤلدة⁴².

ويتطوع كاتب صحفي بالرد مقحماً الخطاب الطائفي في غير سياقه بقوله: أما الدكتور عبدالله الغدامي فعليه ألا يفعل لرد أدونيس الانفعالي عليه. لقد تبدى الغدامي لأدونيس بصورة الباحث العربي «الثابت»، تماماً كما تبدى له كل رموز وعمالقة الأدب والشعر والفكر العربي القديم من نوي الأصول السنية أو العربية الذين ألحقهم بالثبات والجمود والتخلف، في حين الحق كل من كان شعوبياً أو فارسياً أو من أهل الملل والنحل، بالتحول والحدائة.. وهذا دليل ساطع على فساد في نقده ورؤيته.⁴³

خامساً: ثنائية المدح والذم في الحوار النقدي

تتجلى أهمية هذه الظاهرة في الانزياح الأسلوبي للناقد الذي يبدأ حديثه هادئاً متزنأً مجاملاً لخصمه، فيتوهم المتلقي أن الحوار يتسم بالهدوء والاحترام والتقدير والإشادة بالناقد الخصم، ثم يتحول الحوار من الإطراء إلى تعداد المآخذ ورصد العيوب. ويحرص بعض النقاد على الجمع بين الإشادة والإشارة إلى المآخذ، نحو رؤية ياسين عايش في كتابين نقديين (الصفيرة والذهب، جبرا إبراهيم جبرا الأديب الناقد) أصدرهما إبراهيم خليل.⁴⁴ وبعضهم يحرص على انتقاء ألفاظ الإطراء والإعجاب والتقدير لجهود المؤلف قبل أن يشرع بسرد مآخذه على المؤلف، نحو تعقيب سعيد غانم على كتاب (من أدب البلدان في القدس وعمان) لمؤلفه إبراهيم خليل: (ولأن الكاتب أكاديمي متبحر، وناقد محنك صارم، وصاحب نتاج غزير مقدر، فليسمح لنا أن نشير إلى بعض الملاحظات حول الكتاب.....)⁴⁵

ونشر إبراهيم خليل مقالة عارض فيها الأدوات النقدية، والرؤية المنهجية التي تضمنها كتاب (محمود درويش: جدل الشعر والسياسة) لـ عادل الأسطة الذي ينطلق من أن أي تعديل يجريه الشاعر في قصيدة من قصائده في طبعة أو أكثر من طبقات شعره لا بد أن تشير بالضرورة - لتغيير في موقفه السياسي، أو الأخلاقي، أو الديني. وإذا لم تكن كذلك فهي تشير إلى تغيير في موقفه الفكري. وتبرز ثنائية المدح والذم في قول إبراهيم خليل: ولا يغيبن عن ذهن المؤلف وهو أكاديمي متمرس في التدريس وخبير في البحث أن التنقيح، وإعادة النظر في القصيدة مراراً وتكراراً، قبل نشرها وبعده، شيء معروف، منذ القديم.

⁴¹ المرجع نفسه .

⁴² أنظر: السواد، عمار: ثنائيات نقدية.. معارك فكرية في أواخر القرن مجلة العربي . ع 643، 2012/ 6

⁴³ فاضل، جهاد: ماذا يعني هجوم أدونيس على الغدامي؟ صحيفة الرياض، ع 13639، 2005/10/27

⁴⁴ عايش، ياسين: تطبيق نقدي موفق واكتناه لتحليلات الإبداع. مجلة أفكار . ع 153، 2001، ص 50-54 (نقلا عن كتاب: إبراهيم خليل ناقدًا . ص 37

⁴⁵ غانم، سعيد: إضافة مهمة للأدب المعني بالمكان. مقالة نقدية من كتاب (إبراهيم خليل ناقدًا .، قراءات وبحوث، جمعها وحررها

وقدم لها زياد أبو لبن ص 148)

وتحصيل الحاصل أن الأطروحة التي يقوم عليها كتاب الأسطة أطروحة يصعب على الدارسين، والنقاد الأدبيين، القبول بها، والاطمئنان إليها، كونها تعتمد معايير، ومقاييس غير أدبية، ولا شعرية، في الحكم على الأدب.⁴⁶

وتبرز ثنائية المدح والذم في تقييم حسين بن حمزة لشعر سعد الياصري؛ فيشيد بالبناء الإيقاعي للديوان في قوله: لا يكتفي الشاعر بكتابة قصيدة مخلصه لإيقاعات التفعيلة، المصحوبة أحياناً بقافية أو منجزة على بحور العروض. ويعيب لغة القصيدة التي يخضعها الشاعر لعناية معجمية وبلاغية فائقة، غالباً ما تتحول إلى عبء على مرونة المعنى، وتؤثر بالتالي على عملية التلقي. هناك زحمة استعارات، وتوشيات، وتزيينات، تعترض سبيل القارئ بدل أن تدفعه إلى الاستمتاع بما يقرأه. العناية نفسها تسري على عناوين القصائد، المحكومة بعنوان أصيل، وآخر بين قوسين يشرح الأول أو يضيف إليه. بطريقة ما، يصبح التكميل استعراضاً لمهارات لغوية، ينبغي دفنها في طيات القصيدة.⁴⁷

ويرد قاسم السنجري واصفاً المقالة بأنها عبثية نقدية لا تمت إلى المنهجية بصلة. ولأول مرة أقرأ انطباعاً لا يدرك صاحبه ماذا يريد من انطباعه؛ فكثيراً ما قرأنا انطباعات متحاملة أو مادحة، ولكنها كانت تحتفظ على أقل تقدير برصانة قاذبة كانت أو مادحة.⁴⁸

سادساً : الحوار الأحادي (حوار من طرف واحد)

يفضي الحوار الأحادي إلى تعدد الرؤى النقدية للقراء الذين ينقسمون بين مؤيد ومعارض، ويحقق هذا الانقسام في المواقف النقدية ثراءً فكرياً للنص المنقود، ويوسع الفضاء الثقافي للقضايا المختلف عليها. ولكن امتناع الطرف الثاني عن الرد يحرم الخطاب النقدي من الامتداد الأفقي والرأسي بين الطرفين.

أمضى جورج الطرابيشي ربع قرن في مراجعة مؤلفات محمد عابد الجابري ونقدها. وعلى الرغم من اهتمام الصحافة الأدبية بنشر موقف الطرابيشي ونقده لمؤلفات الجابري إلا أن الحوار بقي أحادياً بسبب امتناع الجابري عن الرد، لذلك يصف الطرابيشي حوار مع الجابري بأنه (حوار بلا حوار). ولا يخفى أن غياب الحوار النقدي بينهما أضعاف فرصة إثراء المشهد الفكري العربي وبخاصة الخطاب المتعلق ببنية العقل العربي؛ لأن نقد النقد يفتح آفاقاً تأملية ومعرفية لا تتوافر في الحوار الأحادي.

يقول الطرابيشي: كنا زملاء، ولم نكن أصدقاء، ثم صرنا أصدقاء بدون أن نكف عن أن نكون زملاء، وذلك قبل أن تتطور بيننا تلك العلاقة الغريبة التي تمثلت بزهاء ربع قرن من الحوار اللاحواري منذ شرعت بالإعداد للجزء الأول من مشروع «نقد العقل العربي» رداً على مشروعه الرائد في «نقد العقل العربي»⁴⁹. ويضيف: لم يشأ في مرة واحدة أن يرد على النقد الذي وجهته له، وتجاهل الموضوع تماماً. وسمعت أنه كان يقول في مجالسه: لا يحق لي أن أناقش دكتوراً وإني لا أحمل شهادة دكتوراه مع الأسف. ولكنه كان يقول: إنه لا يقرأ النقد الذي يوجه إليه، ولا يهتم بالرد على منتقديه، مع أنه خصص النصف الأول من كتابه التراث والحداثة للرد على منتقديه من أمثال "علي حرب" و"فتحي التريكي"، بل إنه دخل في نقاش مهم ومطول معهم. أقول هذا الكلام وأنا أشعر بالحرج لأن الرجل فارق الحياة وأنه كان بإمكانه أن يرد علي وهو على قيد الحياة وكل تجريح له في الوقت الحالي سيخلق لي أزمة ضمير لأنه لا يستطيع أن يرد.⁵⁰

⁴⁶ أنظر: خليل إبراهيم: كتاب جديد يثير الغبار حول محمود درويش: جدل الشعر والسياسة. صحيفة القدس العربي. نوفمبر 2013

⁴⁷ حمزة، بن حسين: مبالغات سعد الياصري صحيفة الاخبار اللبنانية (عدد الجمعة 24 يونيو 2011

⁴⁸ السنجري، قاسم زهير: تحافث النقد. (حول تدوينة حسين بن حمزة: مبالغات سعد الياصري) <http://alyasiry.com> وانظر: موقع دروب

<http://www.doroob.com> /28 يونيو 2011

⁴⁹ طرابيشي، جورج: ربع قرن من حوار بلا حوار. المعهد العربي للدراسات والبحوث الاستراتيجية www.airssforum.com

⁵⁰ حوار مع جورج الطرابيشي أجراه هادي محمد. موقع الجزيرة نت. 2010/5/18

ويربط سبب القطيعة بينهما بموقف الجابري من "إخوان الصفا" الذين يقول عنهم بأنهم المسئولون الحقيقيون عن استقالة العقل في الإسلام. ويضيف الطرابيشي أنّ الجابري نسب إلى "إخوان الصفا" قولهم: (إنّ الإنسان ليس بحاجة إلى منطق من أجل أنّ يتفاهم مع غيره. ويؤكد الطرابيشي أنّ هذا القول لم يرد في رسائل "إخوان الصفا".⁵¹

ويبقى السؤال عن سبب امتناع الجابري عن الرد على الطرابيشي قائماً، وتبقى الإجابة مفتوحة للتوقع والتكهن، ولكن لا وجود لإجابة محددة وقاطعة على الرغم من أنّ بعض الباحثين زعم أنّ امتناع الجابري عن الرد يعود إلى الغرور والاستعلاء؛ إذ يذكر سعد البازعي في مقالة صحفية أنه التقى الجابري في الرياض. وحينما سئل الجابري عن رأيه في النقد الذي وجهه طرابيشي لمشروعه في نقد العقل العربي أسرع الجابري في تحويل السؤال نحو شخص طرابيشي، وذكر مسائل شخصية تعبر عن شحنة نفسية سلبية تجاه الطرابيشي حينما طلب الأخير من الجابري التوسط لدى محمد أركون لكي يقبله طالباً للدكتوراه وأنّ الجابري فعل ذلك ثم اتضح أنّ طرابيشي يسعى للدكتوراه بكتبه المنشورة فقط، أي ليس من خلال أطروحة جامعية كالمتبع، فما كان من أركون إلا أنّ رفض ذلك! هذه القصة بغض النظر عن صدقها من عدمه أراد الجابري إحلالها محل تقييمه الشخصي لنقد طرابيشي لمشروعه الفكري في نقد العقل العربي. فإنّ الرجل تحدث عن طرابيشي وكأنّ هذا الأخير لم يصنع شيئاً للثقافة العربية الإسلامية نفسها من خلال مؤلفاته في النقد الأدبي.⁵²

سابعاً: تدمير المبدعين من النقد

اتسمت مواقف بعض الشعراء والروائيين من النقد بالتدمير حيناً والسخط أحياناً، فقد عبر الشاعر راشد حسين عام(1958) عن غضبه من النقد في قوله: إنّ مصيبة شعرائنا، أنهم لا يجدون ناقداً واحداً يعرف أصول النقد وكل من يدعون النقد إنما ينظرون الى القصائد من خلال نظرات حزبية... والصحافة تخشى نشر النقد الصحيح الجريء، وإنّ وجد فتمسخه مسخاً ثلثا تغضب الشاعر، أو لأنّ خطابها السياسي لا يتفق مع افكار الناقد.⁵³

ويجتهد بعضهم في تعليل التدمير من النقد، وشيوع عبارة (لا يوجد نقد) بأنّ عبارة «لا يوجد نقد»، التي يطلقها بعض الشعراء بين الحين والآخر، لا تعني إلاّ أمراً واحداً وهو أنّ النقد لم يحتفِ بتلك التجربة كما يحب صاحبها، وكما يريد من النقد أنّ يتحول إلى جناحين تصفان طرياً وحباً لهذا النشيد «غير المسبوق» الصادر من تلك الحجرية الشعرية فريدة عصرها!⁵⁴ قدّم الأديب حسام الدين خضور في ملتقى "جرمانا الثقافي" بتاريخ 2013/11/17 مداخلة بعنوان (حوار مع جمهور الملتقى حول عملي الروائي، «وباء السلطان»، وعملي القصصي، «عربة الذل»). المشكلة: تعالي الأكاديميات: د. غسان غنيم، ود. عاطف بطرس نموذجاً)، وعبر الأديب الخضور عن خيبته من الناقلين المذكورين اللذين جاءت مداخلتها مبتسرتين، مجردتين، تعسفيتين عدوانيتين، غير مفيدتين من قائمتين نقديتين محترمتين. فقد حكم الدكتور غسان غنيم على مجموعتي، «عربة الذل»، بأنها، «مجرد نصوص تتدرج ربما تحت ما يسمى المقالة الصحفية». ويضيف الخضور: إنّ أقل ما يمكن أنّ يقال في حكم الدكتور غسان غنيم على قصص المجموعة أنه يفتقد إلى الموضوعية ويجهل مقومات القصة القصيرة وربما المقالة الصحفية بالخلط بينهما. وكان حرياً بالناقد أنّ يدلل بنموذج محدد على حكمه التعسفي لنتائجه، لكنه أطلق حكماً عاماً، وأنا أحيل القارئ إلى أية قصة يختارها ليتبين مدى تعسف الناقد حتى بقبول تسمية القصة القصيرة على مكونات المجموعة

⁵¹ المرجع نفسه .

⁵² البازعي ، سعد : الجابري وطرابيشي . صحيفة الرياض. 2009/4/15

⁵³ خليل ، محمد : نقد على نقد . ط1 ، دار الهدى للطباعة والنشر ، كفر قرع ، 2007 ، ص 77

⁵⁴ فاضل ، عهد : لا يوجد نقد .. لا يوجد شعر . مجلة المجلة (مجلة العرب الدولية) . 29 ديسمبر 2013

التي سماها نصوصاً أقرب إلى المقالة الصحفية. وكان غسان غنيم قد انتقد قصص الخضور بدعوى أنها تقتصر إلى اللغة الأدبية، فبرد عليه القاص متهماً إياه بعدم تشريح النص القصصي في قوله: لا، يا دكتور، هذا ليس نقداً. هذا استعراض محفوظات أو عضلات من دون النزول إلى الحلبة. والحلبة هي النص القصصي عينه الذي كانت الأمانة الأكاديمية تقتضي منك تشريح أحد نماذجه⁵⁵.

ونشر عادل الأسطة مقالة نقدية حول رواية (القدس مدينة الله) للروائي حسن حميد استهلها بقوله: (ما الذي يدفع كاتباً روائياً لكتابة رواية عن مكان لا يعرفه؟ هذا هو السؤال الذي راودني وأنا أقرأ رواية الروائي الفلسطيني حسن حميد "مدينة الله"... لماذا لا يكتب حسن حميد عن واقع الفلسطينيين في الشام؟ لماذا لا يكتب عن مكان يعرفه وزمان يبدو شاهداً عليه؟)⁵⁶ واللافت أنّ رد الروائي حسن حميد بدأ هادئاً ومجاملاً وشاكراً في قوله:

(إنني سررت بكتابة أخي الناقد الفلسطيني الدكتور عادل الأسطة، فأنا متابع لكتابته ونشاطه النقدي، وقد قرأت كتبه النقدية). ثم يتحول الهدوء إلى هجوم على منهجية الأسطة في الكتابة في قوله: (رأيت في كتابة أخي عادل الأسطة ما لا أحبه، وما لا يحبه أي كائن مشغول بالوطنية، والإبداع، وذلك لأنّ كتابته إخبارية، فيها الكثير من الأخبار وأنا لا أحب الناقد المخبر، أنا مفتون بالناقد الذي يذهب إلى الأسئلة المعرفية، أي من يذهب إلى الأعماق). ويحرص الروائي حميد على الجمع بين عبارات المجاملة والنقد اللاذع، نحو قوله: (والمشكلة في كتابة أخي د. عادل الأسطة هي ليست في توليفة الإخبار فقط، وإنما هي في أنّ هذه الأخبار مغلوبة كلياً، وهي تقوم على أسئلة افتراضية تستوجب قولات افتراضية أيضاً). ويعود حميد للإجابة عن سؤال الأسطة بقوله: (هذا السؤال يوجّه للإسرائيلي الذي يكتب عن القدس،.. ولا يوجّه لـ حسن حميد الكاتب الفلسطيني الذي عاش أهله زمناً طويلاً في القدس).⁵⁷

ثامناً: تأثير السرقات في الدراسات النقدية على ثقافة الحوار

لا ترمي الدراسة إلى إثارة قضية نقدية شغلت الرأي العام الثقافي وهي سحب جائزة الشيخ زايد من الأكاديمي الجزائري حفناوي بعلي الذي اتهم بسرقة أجزاء من كتابي عبد الله الغدامي (النقد الثقافي) وعز الدين المناصرة (النقد الثقافي المقارن)، ولا ترمي كذلك إلى "تسوية" المتهم بهذه القضية، وما كُتِبَ حول هذه القضية في الصحافة الأدبية، وما صرّح به ذؤ الشان في هذا الأمر يكفي لإغلاق باب السجال فيها. ولكن الدراسة ارتأت معاينة بعض المقطعات التي نشرتها الصحافة الأدبية ذات الصلة المباشرة بثقافة الحوار في المشهد النقدي لسببين؛ الأول: ظهور النزعة الإقليمية المقيّنة في سياق الحوار النقدي. والثاني: تقصير لجان التحكيم في دورها الوظيفي وواجبها العلمي، ولا يخفى أنّ لجان التحكيم في المشهد الأدبي والنقدي ينبغي أنّ تجسد منظومة القيم الثقافية بدقة وأمانة وموضوعية.

وجه الكاتب الصحفي والناقد المصري، عبد الله السمطي، اتهاماً لـ حفناوي بعلي، صاحب جائزة الشيخ زايد للكتاب في دورتها الرابعة، عن إصداره الموسوم بـ "مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن"، بالسطو على كتاب "النقد الثقافي.. قراءة في أنساق الثقافة العربية"، للغدامي مع العلم أنّ الغدامي كان أحد أعضاء اللجنة الاستشارية للجائزة. وأضاف السمطي إنّ حفناوي بعلي يسطو على كتاب النقد الثقافي للغدامي ويفوز بجائزة الشيخ زايد للكتاب، وإنّ اقتباسات هذا الأخير كانت بالجملة. وأضاف أنّ حفناوي لم يكتب في هذا الإصدار الذي نال به أكبر جائزة في الوطن العربي تمنح للكتاب، غير اسمه والعنوان

⁵⁵ حضور، حسام الدين: شعرت أنّ النقاد حكموا عليّ بالإعدام!! صحيفة الوطن السورية (يومية سياسية مستقلة). صحيفة الوطن 2013/11/30

⁵⁶ الأسطة، عادل: القدس مدينة الله. صحيفة الأيام. 27 حزيران 2010

⁵⁷ حميد، حسن: عادل الأسطة ناقداً. <http://www.faisal.ps> / 2010/7/18

الجديد للإصدار. كما طالب بسحب الجائزة منه.⁵⁸ وعلق حفناوي بعلي، على ما كتبه الصحفي عبد الله السمطي، بأنه تحامل وحقد على كل ما هو جزائري، لذلك فهو لن يشغل باله بالرد على مثل هؤلاء الذين يعلقون خسارتهم على نجاحات الآخرين. وقال بعلي: إنه لا يعتبر ما بدر من السمطي قضية، لكنه يصنفها في خانة الحقد، مؤكداً على أن قضية الاقتباسات التي وردت في كتابه الموسوم بـ "مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن"، قد اطلع عليها عبد الله الغدامي، الذي التقاه على هامش توزيع جائزة الشيخ زايد للكتاب، في دورتها الرابعة بدبي، وأشاد بالإضافات القيمة التي أضافها بعلي في بحثه النقدي هذا، وذلك بحضور عز الدين المناصرة، بالإضافة إلى الإشادة التي نالها الكتاب من قبل أعضاء اللجنة التي أشرفت على اختيار الأعمال المتوجة بجائزة الشيخ زايد للكتاب 2010.⁵⁹

وتتسع أبعاد القضية حينما يُعلن د. عز الدين المناصرة أنه لم يكن حاضراً في اجتماع الحفناوي مع الغدامي، كما يتجلى في قوله: لم أدخل دولة الإمارات العربية المتحدة، أية مرة في حياتي، فكيف أكون شاهداً على إشادة الغدامي بكتاب بعلي.؟ أقول ذلك لأنَّ الصحف الجزائرية، والعربية، نقلت تصريح حفناوي بعلي، الوحيد، عشرات المرّات. ويضيف المناصرة: يبدو أنَّ حفناوي بعلي، قد "استحلى"، كتابي "النقد الثقافي المقارن"، وكتاب الغدامي "النقد الثقافي"، فقد كان "طالباً" في جامعة عنابة، عندما كنت أستاذاً بجامعة قسنطينة الجزائرية 1983-1987، فأنا أسامحه، في الدنيا والآخرة، لكن "الرأي العام الثقافي" لن يسامحه، إلا إذا اعتذر علنياً، لكي يبدأ حياته الأكاديمية من جديد، بعد أن يمارس حقه في الدفاع عن نفسه.⁶⁰

ويرى المناصرة أنَّ سحب الجائزة بقرار من هيئة الجائزة، يعتبر قراراً ثورياً، بعد أن قَدِّمت الأسباب في بيانها، لكن يبقى السؤال: من هي لجنة التحكيم العبقريّة، التي اختارت هذا الكتاب من بين 700 كتاب كما نُشر؟ ومن هم مستشارو الجائزة الذين يفترض أنهم قرأوا هذا الكتاب لأنه الكتاب الفائز، ولا يطلب منهم أحد قراءة 700 كتاب؟ فالمعروف أنَّ القراءة الأولى تعطى لمجموعة من الباحثين كمرحلة أولى من أجل الفرز فقط! ولماذا لا تفتح الصحف ملف «مافيات التحكيم» في الجوائز العربية الكبرى على الأقل؟. أقسم بأنني حزين من الناحية الإنسانية لحالة هذا الأكاديمي، وأنا أكتب هذا المقال من أجل منحه فرصة للتعبير عن حقه في الدفاع عن نفسه، ولكن أنصح بعدم المراوغة، وأقترح عليه أنَّ يعتذر إلى الرأي العام الثقافي علناً، لكي يبدأ حياته الأكاديمية من جديد، فلكل جواد كبوة.⁶¹

ويصف المناصرة الناقد الحفناوي بأنه «بلدوزر أعمى» في البحث العلمي، يقتطع صفحات كاملة طويلة، ويشير أحياناً مرّة واحدة إلى المرجع. فالتهميش السيء، يفوق حتماً إلى موضوع التلاص، بشكل تلقائي، وبالتالي، يتجاوز مفهوم الاقتباس.⁶² وبينه المناصرة في مقال آخر على غياب دور لجنة التحكيم التي قصّرت في واجباتها في قوله: هل يُعقل أنَّ مستشاري الجائزة، أو لجنة التحكيم، لا تقرأ حتى "الكتاب الفائز" بالجائزة؟ وهل صحيح أنَّ حفناوي بعلي، من بعد سحب لقب الجائزة منه، ظلَّ يحتفظ بقيمة الجائزة المادية (ربع مليون دولار)، لهذا أصدر تصريحاً واحداً في سطور قليلة، وأمرته هيئة الجائزة، بعد ذلك، بعدم التصريح أو الكتابة في الموضوع؟ وما معنى ذلك؟.⁶³

⁵⁸ أنظر: صحيفة الفجر الجزائرية. 2010/9/27

⁵⁹ أنظر: المرجع نفسه .

⁶⁰ أنظر: المناصرة، عز الدين: التلاص، والنقد الثقافي المقارن: سوء التهميش والاقتباس قادا بعلي إلى منطقة التلاص بالفعل.

صحيفة الدستور الأردنية، ع 16778 السنة 48، 2014/3/29

⁶¹ المناصرة، عز الدين: من التلاص إلى (التلاص) .. ومافيات التحكيم. صحيفة الرأي الأردنية. 2010-11-04

⁶² المرجع نفسه .

⁶³ أنظر: المناصرة، عز الدين: التلاص، والنقد الثقافي المقارن: سوء التهميش والاقتباس قادا بعلي إلى منطقة التلاص بالفعل.

صحيفة الدستور الأردنية. العدد رقم 16778 السنة 48، 2014/3/29

وتتساءل حليلة مظفر: لا أعلم كيف مرّ ذلك على الدكتور الغدامي صاحب الجهد الحقيقي في كتابه الذي أصدره عام 2000، والذي يفترض أنه اطلع على الكتاب المرشح للجائزة وتقييمه!!؟ وحصول هذا الأمر يجعلنا نتساءل: ما هي المعايير المتبعة في تقييم تجارب الفائزين في هذه الجوائز العربية؟! هل هي معايير حقيقية تقوم على تقييم الجهد المبذول أم معايير تعتمد المجاملات والشهرة الثقافية؟⁶⁴ وتُفحم خيرة بوعمرة النزعة الإقليمية في ردها على الصحفي والناقد عبد الله السمطي بقولها: حرصاً منهم على تسويد صورة المثقفين الجزائريين لم يدخر المصريون أي جهد في هذا الاتجاه، وآخرها الحملة التي شنّها الباحث المصري "عبد الله السمطي" ضد الباحث الجزائري "حفناوي بعلي" حول ما أسماه الطرف المصري بسرقات حفناوي. وتأكيداً منه على ادعاءاته أعلن المرتزقة المصري عبد الله السمطي أنه يحضر لإصدار كتاب تحت عنوان "سرقات حفناوي بعلي وتلفيقاته" سيتم إصداره بعد عيد الأضحى المبارك، والذي يتناول فيه بالتحليل والمقارنة سرقات الباحث الجزائري حفناوي بعلي المزعومة رغم أنّ حق الرد مكفول ويستدعي الكثير من المقارنات ننتظرها من الباحث الجامعي الجزائري حفناوي بعلي المعروف بنزاهته وقيمه العلمية الأكاديمية. رغم حالة الصمت التي يلزمها هذا الأخير مع أنّ من حقه رفع دعوى قضائية ضد الجهة الطاعنة والمشككة في نزاهة بحثه.⁶⁵

⁶⁴أنظر: مظفر، حليلة: الغدامي "يسرق" على عينك يا تاجر . صحيفة الوطن السعودية . 2010/10/6 / http://www.elhiwarnet.com2010/11/8
⁶⁵ بوعمرة ، خيرة : صحيفة الحوار .

الخاتمة:

ناقشت الدراسة مفهوم "نقد النقد"، وفرقت بينه وبين النقد الأدبي ، وقاربت بين مفهوم نقد النقد ومفهوم قراءة القراءة ، وكشفت عن الجذور التاريخية لمفهوم نقد النقد. ونبهت إلى دور الصحافة الأدبية في انتشار ظاهرة نقد النقد في المشهدين الإبداعي والنقدي. وعالجت الدراسة ثمانية محاور تشكل فضاء ثقافة الحوار في الدراسات النقدية ، وخلصت الدراسة إلى النتائج والتوصيات الآتية:

1. إن ظاهرة " نقد النقد" ليست إنجازاً معاصراً ، فالبدائيات الأولى لها تعود إلى بدايات تشكل النقد نفسه.
2. أثبتت الدراسة اختلاف مفهوم نقد النقد عن مفهوم النقد الأدبي، ورفضت إجراء تبادل وظيفي بينهما.
3. نبهت الدراسة إلى دور الصحافة الأدبية في توجيه السجال النقدي، والحوار بين النقاد.
4. إن ثقافة الحوار في المشهد النقدي بحاجة ماسة إلى النقد الموضوعي الذي يتسم بالشفافية والصرحة والوضوح، ويسجل المآخذ المنهجية، ويشيد بالرؤى الفكرية المائزة ، ويبتعد على المواقف الضبابية والرمادية ، ويتجاوز المواقف الشخصية.
5. دعت الدراسة إلى أهمية تأسيس الحوار بين النقاد على منهجية نقدية.
6. توصي الدراسة بضرورة خلو الحوار النقدي من الألفاظ النابية والتعبيرات الخارجة عن منظومة القيم التي يقتضها الحوار بين النقاد.
7. نبهت الدراسة على خطورة إقحام الخطاب الطائفي في الحوار النقدي.
8. رصدت الدراسة ظاهرة تحول الحوار بين النقاد من المدح إلى الذم في سياق واحد.
9. ناقشت الدراسة ظاهرة الحوار الأحادي ، وبينت إيجابياتها وسلبياتها.
10. حرصت الدراسة على تعليل تذمر بعض المبدعين من النقاد.
11. نبهت الدراسة على تأثير السرقات النقدية على ثقافة الحوار.
12. أشارت الدراسة إلى تقصير لجان التحكيم الخاصة بمنح الجوائز لأصحاب الدراسات النقدية في دورها الوظيفي وواجبها العلمي، ولا يخفى أن لجان التحكيم في المشهد الأدبي والنقدي ينبغي أن تجسد منظومة القيم الثقافية بدقة وأمانة وموضوعية. ونبهت إلى تأثير ذلك على الحوار بين النقاد.

المراجع

1. الأسطة ، عادل: القدس مدينة الله . صحيفة الأيام .27حزيران 2010.
2. الأسطة ، عادل: القراءة وإساءة القراءة. صحيفة الأيام 10 تشرين الأول 2006
3. البازعي ، سعد: الجابري والطرايبيشي . صحيفة الرياض.2009/4/15
4. بوعمره ، خيرة : صحيفة الحوار . 2010/11/8 / <http://www.elhiwarnet.com>
5. الجندي ،أحمد أنور: المعارك الأدبية . مكتبة الأنجلو المصرية ، 1983
6. حديدي، صبحي: عبدالله الغدّامي: إشكالية المسمّى ومطحنة التسميات. الجزيرة الثقافية 2007/3/12
7. حمزة، بن حسين: مبالغات سعد الياسري ،صحيفة الاخبار اللبنانية ،عدد الجمعة 24 يونيو 2011
8. خرماش ، محمد: من التاريخي إلى النقد النصي (قراءة في خطاب إبراهيم خليل النقدي). مقالة ضمن كتاب (إبراهيم خليل ناقداً ، قراءات وبحوث) جمعه وحرره وقدم له زياد أبو لين . دار أمواج للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان 2012،
9. خضور، حسام الدين: شعرت أن النقاد حكموا عليّ بالإعدام!! صحيفة الوطن السورية (يومية سياسية مستقلة). 2013/11/30
10. خليل، إبراهيم: إحسان عباس ومحمد الغزي، الأصل والصورة. القدس العربي. 2013/3/21
11. خليل، محمد: نقد على نقد . ط1 ، دار الهدى للطباعة والنشر ، كفر قرع ، 2007
12. خليل، إبراهيم: كتاب جديد يثير الغبار حول محمود درويش: جدل الشعر والسياسة. صحيفة القدس العربي . نوفمبر 2013
13. زهد، عبد الحكيم عبد اللطيف: حركة النقد الأدبي الفلسطيني في فلسطين المحتلة بعد الخامس من حزيران (1967-1976)
14. زين، أحمد : مقالة (متفقون سعوديون يستنكرون السجال "الطاحن" بين الغدّامي والعلّي. الشاعر والناقد عندما يتراشقان بالشتائم والتهم.) صحيفة الرياض العدد: 16681، 2008/12/5
15. سعيد ،إدوارد: العالم والنص والناقد. ترجمة: عبد الكريم محفوظ. منشورات اتحاد الكتاب العرب.. دمشق ، 2000.
16. السماوي، يزن: مقال (أدونيس ... هل كان يرد الاعتبار للبازي والسريحي وآخرين ؟ عندما قال: الغدّامي سطحي وتقليدي ... وليس ناقداً!) جريدة الحياة، ع 15714، ص33، 2006/4/13.
17. السنّجري، قاسم زهير : تهافتُ النّقد. (حول تدوينة حسين بن حمزة: مبالغات سعد الياسري) <http://alyasiry.com> أنظر : موقع دروب <http://www.doroob.com> /28 يونيو 2011
18. السواد، عمار: ثنائيات نقدية.. معارك فكرية في أواخر القرن، مجلة العربي، ع 643، 2012/ 6
19. الصوياني ، محمد: الغدّامي وحدائث أدونيس . صحيفة الرياض. 2011/1/28
20. طرايبيشي، جورج: ربع قرن من حوار بلا حوار. المعهد العربي للدراسات والبحوث الاستراتيجية www.airssforum.com
21. طرايبيشي، جورج : نقد نقد العقل العربي . دار الساقى ، ط1 ، 1996

22. عايش، ياسين: تطبيق نقدي موفق واكتناه لتجليات الإبداع. مجلة أفكار. ع 153، 2001، ص50-54.
23. عصفور، جابر: قراءة التراث النقدي. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1994
24. عمارة، محمد: التفسير الماركسي للإسلام. دار الشروق، ط2، 2002
25. غانم، سعيد: إضافة مهمة للأدب المعني بالمكان. مقالة نقدية من كتاب (إبراهيم خليل ناقدًا، قراءات وبحوث، جمعها وحررها وقدم لها زياد أبو لبن)
26. الغدامي، عبد الله. تأنيث القصيدة والقارئ المختلف. المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1999
27. الغزي، محمد: ردّ على مقال الدكتور إبراهيم خليل: احسان عباس ومحمد الغزي الاصل والصورة. القدس العربي. 2013/4/1
28. فاضل، جهاد: ماذا يعني هجوم أدونيس على الغدامي؟ صحيفة الرياض، ع 13639، 2005/10/27
29. فاضل، عهد: لا يوجد نقد.. لا يوجد شعر. مجلة المجلة (مجلة العرب الدولية). 29 ديسمبر 2013
30. القعيب، خالد: صحيفة الوطن السعودية 2013/12/1 وانظر: مقالة الغدامي التي نشرت في صحيفة الرياض في 17/سبتمبر/1992 بعنوان "والهويل إذا أهمل"
31. قليقة، عبد العزيز: نقد النقد في التراث العربي. مكتبة الأنجلو المصرية، 1974.
32. لخضر، العراقي: مفهوم نقد النقد عند علي حرب. أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب. جامعة قاصدي مرباح، جامعة ورقلة، الجزائر.
33. أبو لبن لبن، زياد: إبراهيم خليل والمبدع الموهوب. مقالة ضمن كتاب (إبراهيم خليل ناقدًا) (مرجع سابق).
34. محمد، باقر جاسم: نقد النقد أم الميثانقد، محاولة في تأصيل المفهوم. مجلة عالم الفكر، العدد3، المجلد 37 مارس 2009
35. مشايخ، محمد: إبراهيم خليل الناقد والموقف. مقال منشور ضمن كتاب (إبراهيم خليل ناقدًا)، جمع وتحرير وتقديم: زياد أبو لبن.
36. مظفر، حليلة: الغدامي "يسرق" على عينك يا تاجر. صحيفة الوطن السعودية. 2010/10/6
37. المناصرة، عز الدين: التلاص، والنقد الثقافي المقارن: سوء التهميش والافتقار قادا بعلي إلى منطقة التلاص بالفعل. صحيفة الدستور الأردنية 16778 السنة 29، 2014 /3/48
38. المناصرة، عزالدين: من التناص إلى (التلاص) .. ومافيات التحكيم. صحيفة الرأي الأردنية. 2010-11-04